اللغة العربية
في حاضرها ومآلها

بحث قدم إلى مجمع اللغة العربية بالقاهرة
بتاريخ 15 جانفي 1977م

اللغة العربية في حاضرها ومآلها

أيها السادة الأمجاد:

إنه ليسعدني أن أشارك في هذا النقاش الذي أحسنت هيأة المجتمع الفاضلة اختياره ليكون موضع بحث؛ فلغتنا العربية الخالدة هي الرابطة المتينة التي تجمع شمل الأمة العربية قاطبة، وتقيها شر التفرق والانقسام، وتمكنها من أداة صالحة للتفاهم وتبادل الآراء والأفكار، مهما بعدت الشقة وطالت المسافات. وهي إلى جانب ذلك الوسيلة الوحيدة التي تجمع بين السلف وبين الخلف، وتفتح أمام أمتنا العربية أبواب الرجاء الفسيحة، لكننا نرى ـ ولسوء الحظ ـ أننا لا نقف إلى جانب لغتنا الموقف الصارم الفعال، الذي يقيها شر الذبول والانكماش وهما يقودان حتماً إلى التلاشي ولو بعد أمد بعيد، أمام تيار المدنية الحديثة الجارف، وعلومها الدافقة، وتقنياتها التي تولد كل يوم، فمن تخلف بلغته عن الركب، ومن لم يساير التقدم العلمي الكاسح، يكون قد سعى من حيث يدري ولا يدري إلى جعلها لغة ثانوية، بعيدة عن حياة اليوم والغد.

هذا الموضوع سادتي الجلة، واسع وعريض، لا تكفي في معالجته محاضرة، إنما أرى احتراماً للوقت، وسعياً وراء

المنفعة، واتقاء لما تعودنا، من الإطالة والجري خلف الجمل البديعة والعبارات المنمقة أن الخص لكم حول القضية رأيين، معتمداً على نقط مفصلة، محددة، تصلح كل نقطة منها أن تكون مجالاً لبحث واستقراء:

أولاً: الانتشار السياسي، إذا ألقينا على عربيتنا المعاصرة نظرة عامة شاملة، رأيناها قد ازدادت في عصرنا الحاضر، ذيوعاً وانتشاراً، مسايرة في ذلك نشورنا السياسي والاقتصادي، فهيأة الأمم المتحدة وكل ملحقاتها، تعترف باللغة العربية لساناً عالمياً، يستعمل في كل جلساتها ومحافلها.

ثانياً: الانتشار العربي الداخلي، وإذا ما رجعنا بأبصارنا نحو داخل بلادنا العربية الشاسعة الأطراف، رأينا لغتنا تزداد كل يوم ذيوعاً وانتشاراً، بواسطة الإذاعات والتلفزة التي عمت البلاد، وبواسطة الكتب والمجلات والصحف المخلفة. فالعربية الفصيحة تغزو كل البقاع العربية وتستقر استقراراً متيناً محموداً.

ثالثاً: من لغة الأدب إلى لغة العلم والتقنية، نلاحظ إلى جانب هذه المكانة، وهذا الذيوع والانتشار، نقائص كبيرة تكتنف هذه اللغة، وتكاد تحصرها في مناطق لا تستطيع اجتيازها، فواجبنا ونحن أبناؤها والقائمون عليها، أن نتدارك هذا الوضع، وأن نقدم على مواجهة الخطر؛ وأن نسعى السعي الحثيث لكي نرفع لغتنا إلى المرتبة العالمية الممتازة.

ذلك مثلاً، أن لغتنا العربية لا تزال إلى يومنا هذا، لغة

أدب وسياسة وفلسفة، لا لغة علم وتقنية، بينما نرى كل لغات العالم تسير مع العلم ومع التقنية خطوة خطوة، بل تتعداها أحياناً. مما يجعلنا في الغالب عالة على تلك اللغة الأجنبية في حياتنا العلمية، وهذا هو نقصنا المعيب.

رابعاً: نشر مقرراتنا والتنويه بها، المجامع اللغوية العربية، ومنها مجمعنا هذا، ـ واسمحوا لي سادتي هذه الصراحة ـ تكاد تكون منطوية على نفسها، لا يكاد العالم، ولا تكاد عامة الشعب تعرف عن أعمالها شيئاً، ـ فهي لا تبلّغ، والشعب لا يسأل ـ ذلك رغماً عن أنها تعمل عملاً جاداً، مفيداً صالحاً. ولقد كنت اقترحت من قبل، وأعيد الاقتراح الآن، أن يدعو السيد الرئيس عند ختام كل مؤتمر، جماعة الصحفيين عامة ومنهم رجال الإذاعة والتلفزة لكي يبلغهم مقررات المؤتمر في جلسته، ويوزع عليهم مختلف المصطلحات العلمية التي أقرها؛ ويدعوهم لنشرها، والتنويه بها، لتكون مرجعاً عربياً عاماً للعلوم.

خامساً: لجنة عمل دائمية لتعميم المصطلحات، في مصر، وسوريا، والعراق، والمغرب العربي، تتفق المجامع ولجان التعريب على اختيار كلمات تؤدي مختلف المعاني العلمية الحديثة، وتعرب بعض التقنيات دون سعي لتعميمها بين مختلف المجامع، أو لنشرها بين أبناء الشعب من خاصة وعامة بصفة عملية، فتكاد تلك الجهود تذهب سدى.

وإنه ليكفينا تشكيل لجنة اتصال دائمية، تعمل بصفة دائبة

على جمع مقررات كل مجمع، وما اتفق عليه من مصطلحات، ونشر ذلك بمختلف الوسائل في كل بلاد الأمة العربية، حتى يعم استعمال ذلك بصفة جماعية ولا تتشتت اللغة العلمية والتقنية بدل الإجماع.

سادساً: لجنة تعريب تقنية، أرى أنه من الواجب المؤكد أن تنشئ مختلف المجامع ـ وفي مقدمتها مجمعنا هذا ـ لجنة مختصة بتعريب الكلمات التقنية الحديثة خاصة، المتعلقة بالآلات الألكترونية والكهربائية عامة، وأجهزة الحركة المختلفة كالمحركات والطائرات وأجهزة المصانع.

سابعاً: دائرة المعارف، وإنه لما يرد في هذا الباب، وجوب نشر دائرة المعارف العلمية الحديثة التي تشمل كل الكلمات التي أقرتها مختلف المجامع العربية، مقسمة حسب المواضيع، كي تقدم لأبناء العربية كافة ما هم في حاجة إليه من تلك المصطلحات، مع ما يقابلها من الكلمات الإنكليزية، والفرنسية؛ وأضع خطاً سميكاً حول كلمة: الفرنسية لأن العالم العربي مقسم ـ علمياً ـ إلى جانب شرقي درس اللغة الإنكلوسكسونية، وإلى جانب غربي درس اللغة الفرنسية. فلا بد لنا من تقديم مصطلحاتنا الجديدة إلى القسمين معاً؛ وإلا فإننا نكون قد قمنا بقسمة ظئزى.

ثامناً: العربية واللهجات المحلية، إنه لمن المبادئ الأساسية المعروفة لدى عموم العرب، أنه لا يمكن التغلب على اللهجات المحلية التي سادت ولا تزال تسود العالم العربي

قاطبة، إلا بنشر اللغة العربية الفصيحة، والدعاية لها بصفة علمية مستمرة؛ لكننا نرى ولسوء الحظ، أننا نحن الجنود الأولون لهذه العربية الفصيحة، نرسب دوماً واستمراراً في معين اللهجات المحلية، نستعملها في دروسنا وفي تخاطبنا وحتى في مجادلاتنا العلمية واللغوية... ولو أننا ألفنا أن نتكلم اللغة الفصيحة وأن نخاطب الناس بها لفهمونا، وقد أصبحت قريبة منهم، أكثر مما كانت من قبل، لكثرة تداول الصحف والكتب والمجلات من جهة؛ ولسماعهم مراراً كل يوم الأنباء والمحاضرات بواسطة المذياع والتلفزة.

إن العربية الفصيحة في حاجة إلى دعاية وإلى عمل جدي متواصل، يتأشره الخاصة فيتسرب منها إلى العامة.

تاسعاً: السينما والمسرح آلتا هدم أو بناء، وانطلاقاً من هذا، نقول أن الذين حولوا المسرح والسينما إلى دعاية لكل لهجة محلية قد أجرموا في حق العربية الفصيحة إجراماً كبيراً. إنهم يستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير. ولو أنهم فهموا مصلحتهم المادية التي يسعون إلى تحقيقها، لاستعملوا العربية الفصيحة بدل هذه الرطانات، إذن لتمكنوا من غزو كل الأسواق العربية في العالم، بدل أن يبقى إنتاجهم خاصاً ببلادهم فقط. ولنأخذ على ذلك مثلاً ما نراه ببلادنا الجزائرية. فإذا قدمت لنا التلفزة رواية عربية فصيحة، من إنتاج لبنان مثلاً، أقبل عليها الناس، وتحدثوا بها، بل واستعادوها. بينما نراهم يبتعدون عن الروايات ذات اللهجات المحلية. ومثل ذلك يقال عن الروايات

التمثيلية التي أصبحت في معظمها لا تؤلف ولا تقدم إلا باللهجات المحلية، لجمهور شعبي خاص. وبهذا ماتت حركة التمثيل العربي التي سادت كامل البلاد العربية في أوائل هذا القرن، وأحدثت تأثيرها المطلوب وكان الناس من بغداد إلى أقصى بلاد المغرب العربي يقبلون عليها إقبالاً عظيماً، وما كانوا يفهمونها فحسب، بل أصبحوا يستعملون في تخاطبهم ألفاظها وعباراتها، ويتمثلون بأشعارها، وقد رأيت ذلك بتونس وبالجزائر رأي العين خلال النصف الأول من هذا القرن.

فهل من عودة إلى ذلك الزمن؟ لو أننا أثرنا بدعاية صالحة مركزة في الأوساط الفنية المسرحية والسينمائية فطورت إنتاجها وعربته تعريباً كاملاً، ولو بالتدريج، إذاً لرأينا ذيوعاً عظيماً للغة العرب في كل بلاد العرب ولانتهت هذه الحواجز اللغوية التي مزقت شأن العرب وجعلت التخاطب والتفاهم صعباً بينهم.

عاشراً: النحو لصعوبته كاد يضيع. لنضع كتاباً مبسطاً، من ناحية أخرى، علينا أن نبسط علم النحو، وأن نقدم للناشئة بصفة جديدة مختصرة، ومركزة حول قواعد أساسية، وأن نمعن في دراسته على تلك الصفة فإن علم النحو الموسع قد أخذ يهجر المدارس شيئاً فشيئاً، وتحل محله العلوم العصرية المختلفة التي كثرت وتنوعت، وأدى بنا ذلك، كما تعرفون جميعاً، إلى مهازل في اللغة يستعملها بعض الكبراء ورجال السياسة في مختلف أصقاع العرب. إلى أن أصبح الفاعل منصوباً، وصارت حروف الجر حروف رفع. هذه قضية أرجو أخوتي في هذا

المجمع وفي بقية المجامع العربية، أن يولوها العناية الكافية وأن يبحثوها البحث المفيد، وأن ينفذوها التنفيذ الصالح. فليست هنالك من لغة في العالم لتستطيع الحياة دون نحو ودون قواعد يعرفها الجميع، ويحسن الجميع استعمالها.

الحادي عشر: كتب الدراسة الأولى مشكولة وجوباً، علينا، إلى جانب ذلك، أن نسعى حثيثاً لجعل الدراسة في مرحلتها الأولى، مشكولة، بحيث يستطيع التلميذ أن ينطق كل الكلمات صحيحة، وبذلك يصبح علم النحو عنده ميسوراً، وتصبح الكلمات العربية الصحيحة عنده مألوفة.

الثاني عشر: إصلاح الكتابة العربية، ولقد كثر الكلام قديماً وحديثاً حول قضية إصلاح الكتابة العربية، وخبط الكثير من الباحثين في هذه القضية خبط عشواء في ظلماء. وإني لأذكر أن منهم من دعا، أسوة بما فعله الأتراك إلى استعمال الحروف اللاتينية مكان الحروف العربية، وتلك طريقة إجرامية ننسف بها الجزء الأكبر من وحدتنا وننفصل بها عن تراثنا.

ولقد تعددت منذ أوائل هذا القرن، الدراسات والمحاولات، وقدمت حلول عدة هي إلى الخيال أقرب منها للحقيقة. وكانت في نفس الوقت مهزلة ومضيعة للجهود فقبل دراسة هذا الموضوع يجب علينا أن نعرف أولاً: أن كتابتنا العربية الحالية، سواء من ناحيتها الطباعية أو الخطية إنما هي عامة في نحو الثلاثين دولة من دول العالم، تشمل نحو الثلاثماية مليون نسمة، منها الدول العربية ومنها الدول الإسلامية

الأعجمية كإيران وباكستان، وأفغانستان ودول الشرق الأقصى، وهي رابطة كبرى نرجوا أن تزداد تركزاً ووثوقاً. فلو عمدنا إلى تغيير تلك الكتابة لفصمنا تلك الرابطة الجامعة؛ ولقطعنا الأسباب مع ماضينا، بل لقسمنا العالم العربي انقساماً شنيعاً، لأنه لا يعقل أن يتبع كله أي طريقة جديدة نبتدعها، فتتعدد الطرق، وتختلف الكتابات ونضيع وحدة اللغة بين هذا وذاك. وعلينا أن نعرف ثانياً، بأن كتابتنا على طريقتها الحاضرة تشمل مئات الآلاف من الكتب القيمة التي ابتدأت بالقرآن الشريف ولم تنته بآخر ما أخرجته لنا المطابع هذه الأيام؛ فعلى فرض أننا أجمعنا على تغيير طريقة كتابتنا، نكون إذن قد قطعنا الصلة مع ماضينا، وأصبحنا كالأتراك اليوم لا يكادون يعرفون عن ثقافتهم وعن ماضيهم إلا بواسطة ما كتبوه بأحرفهم الجديدة، وهو قليل جداً.

فإذا أردنا فعلاً إصلاح الكتابة العربية فعلينا ـ حسب رأيي الخاص ـ أن يكون ذلك الإصلاح على ثلاثة قواعد أساسية:

أولها: أن تبقى الحروف على شكلها الحاضر، إنما تكون ـ طباعياً ـ منفصلة.

وثانيها: أن تكون مشكولة وجوباً.

وثالثها: أن يكون الاصلاح نتيجة عمل مشترك بواسطة لجنة مختصة، مؤلفة من ممثلي مجموعة الأمة العربية.

الثالثة عشر: لنسر مع التطور العلمي، ولننطق بكل الحروف العربية، ولكي تكون كتابتنا العربية عصرية، مسايرة

لحركة العلم وازدهار الحضارة، وجب علينا حتماً أن نقتدي بما فعله المستشرقون العالميون، من إدخالهم لعلامات جديدة على بعض حروفهم، جعلتهم يستطيعون بها قراءة وكتابة الأحرف العربية التي لا توجد في لغاتهم، كمثل: ث، ح، خ، ذ، ص، ض، ط، ظ، ع، غ، ق؛ فالتطور العلمي والحضاري والجارف يوجب علينا أن ننطق أيضاً بأحرف: x, y, u, p, o, e وإني لأجد أن ذلك ميسور جد اليسر، إذا ما اتفقنا ـ جماعياً ـ على إدخال بعض اصطلاحات جديدة على حروفنا ـ كما فعلنا سابقاً مع حرف gu حين اخترنا له كافاً فوقها جرة ـ. وذلك مثلاً باصطلاحنا على أن:

أ الألف وفوقه نقطة، يساوي E

إ الألف وتحته نقطعة، يساوي U

و الواو فوقه نقطة، يساوي O

ف الفاء فوقها ثلاث نقاط، يساوي W - V

ب الباء تحتها ثلاث نقاط، يساوي P

بهذه العلامات الميسورة البسيطة، نستطيع كتابة كل الأحرف الأوروبية، ونستطيع النطق بها بكل سهولة ونجاري العلم في حركته الدافعة دوماً إلى الأمام.

هذا ما رأيت سادتي وأخوتي الجلة، تقديمه لمؤتمركم المثمر، حول القضية التي طرحت أمامنا للبحث؛ ومن مجموعة الجداول الصغيرة تتكون الأنهار.